الباب الثاني والعشرون
في ذكر بكاء أهل النار وزفيرهم وشهيقهم وصراخهم ودعائهم الذي لا يستجاب لهم

قال الله تعالى : ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠٠] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [هود:١٠٦] .

قال الربيع بن أنس : الزفير في الحلق ، والشهيق في الصدر . وقال معمر عن قتادة : صوت الكافر في النار مثل صوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق . وقال تعالى : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ [فاطر:٣٧] .

١ ـ (٢٦) وفي حديث حارثة : « **وكأني أنظر إلى أهل النار يتعاوون فيها** » [(١)] . وقد سبق .

٢ ـ (١٧٧) وروى معاوية بن صالح عن سليم بن عامر عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **رأيت رؤيا** » فذكر حديثًا طويلا وفيه قال : « **ثم انطلقنا فإذا نحن نرى دخانًا ونسمع عواء قلت : ما هذا ؟ قال : هذه جهنم** » [(٢)] . خرجه

---

(١) سبق برقم (٢٦) .

(٢) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير ٨/ ١٨٢ (٧٦٦٦) عن أبي أمامة الباهلي قال : خرج علينا رسول الله ﷺ بعد صلاة الصبح فقال : « إني رأيت رؤيا هي حق فاعقلوها ، أتاني رجل فأخذ بيدي فاستتبعني حتى أتاني جبلا وعرًا طويلا ، فقال لي : ارقه ، فقلت : إني لا أستطيع ، فقال : إني سأسهله لك ، فجعلني كلما رقيت قدمي وضعتها على درجة حتى استوينا على سواء الجبل فانطلقنا فإذا نحن برجال ونساء شققة أشداقهم ، فقلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يقولون ما لا يعلمون ، ثم انطلقنا فإذا نحن برجال ونساء مشمرة أعينهم وآذانهم ، فقلت : ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يرون أعينهم ما لا يرون ويسمعون آذانهم ما لا يسمعون ، ثم انطلقنا فإذا نحن بنساء معلقات بعراقيبهن مصوبة رؤوسهن تنهش ثداهن الحيات ، قلت : ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يمنعون أولادهن من ألبانهن ، ثم انطلقنا فإذا نحن برجال ونساء معلقات بعراقيبهن مصوبة رؤوسهن يلحسن من ماء قليل وهما ، فقلت : ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يصومون ويفطرون قبل تحلة صومهم ، ثم انطلقنا فإذا نحن برجال ونساء أقبح شيء منظرا وأقبحه لبوسًا وأنتنه ريحًا كأنما ريحهم المراحيض ، قلت : ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الزانون والزناة ، ثم انطلقنا فإذا نحن بموتى=

الطبراني وغيره .

٣ ـ (١٧٨) وروى الأعمش عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **يلقى البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ، ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود ، ولو أرسلت فيه السفن لجرت** » [(١)] . خرجه ابن ماجه .

وروي عن الأعمش عن عمرو بن مرة ويزيد الرقاشي عن أنس موقوفًا من قوله ، ورواه سعيد بن سلمة عن زيد الرقاشي قال : بلغنا هذا الكلام ولم يسنده ولم يرفعه .

وروى سلام بن مسكين عن قتادة عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال : إن أهل النار ليبكون الدموع في النار حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت ، ثم إنهم ليبكون بالدم بعد الدموع ، ولمثل ما هم فيه فليبك [(٢)] .

وقال صالح المري : بلغني أنهم يصرخون في النار حتى تنقطع أصواتهم فلا يبقى منهم إلا كهيئة الأنين من المدنف [(٣)] .

وقال ابن إسحاق عن محمد بن كعب : زفروا في جهنم فزفرت النار ، وشهقوا

= أشد شيء انتفاخًا وأنتنه ريحًا ، قلت : ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء موتى الكفار ، ثم انطلقنا وإذا نحن نرى دخانا ونسمع عواء ، قلت : ما هذا ؟ قال : هذه جهنم فدعها ، ثم انطلقنا فإذا نحن برجال نيام تحت ظلال الشجر ، قلت : ما هؤلاء ؟ قال : موتى المسلمين ، ثم انطلقنا فإذا نحن بغلمان وجوار يلعبون بين نهرين ، قلت : ما هؤلاء ؟ قال : ذرية المؤمنين ، ثم انطلقنا فإذا نحن برجال أحسن شيء وجهًا وأحسنه لبوسًا وأطيبه ريحًا كأن وجوههم القراطيس ، قلت : ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الصديقون والشهداء والصالحون ، ثم انطلقنا فإذا نحن بثلاثة نفر يشربون خمرًا لهم ويتغنون ، فقلت : ما هؤلاء ؟ قال : ذلك زيد بن حارثة وجعفر وعبد الله بن رواحة ، فملت قبلهم ، فقالوا : قدنا لك قدنا لك ، قال : ثم رفعت رأسي فإذا ثلاثة نفر تحت العرش ، فقلت : ما هؤلاء ؟ قال : ذاك أبوك إبراهيم وموسى وعيسى وهم ينتظرونك صلى الله عليهم أجمعين » . وقال الهيثمي في المجمع ١/ ٧٧ : « رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح » ا.هـ .

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن ، كتاب الزهد ، باب صفة النار ٢/ ١٤٤٦ (٤٣٢٤) . وعنده « يُرسل البكاء ...» . وفي الزوائد : « في إسناده يزيد بن أبان الرقاشي ، وهو ضعيف » ا.هـ .

(٢) أورده أبو نعيم في الحلية ١/ ٢٦١ ، وابن أبي شيبة ١٣/ ١٥٦ (١٥٩٧٨) .

(٣) أورده أبو نعيم في الحلية ٦/ ١٦٦.

فشهقت النار بما استحلوا من محارم الله . قال : والزفير من النفس ، والشهيق من البكاء .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ [هود:١٠٦] قال : صوت شديد وصوت ضعيف .

وروى مالك عن زيد بن أسلم في قوله ـ عز وجل : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم:٢١] قال زيد : صبروا مائة عام ثم بكوا مائة عام ثم قالوا : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ .

٤ ـ (١٧٩) وروى الوليد بن مسلم عن أبي سلمة الدوسي ـ واسمه ثابت بن شريح ـ عن سالم بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يدعو « **اللهم ارزقني عينين هطالتين ، يشفيان القلب بذروف الدموع من خشيتك قبل أن يكون الدمع دما والأضراس جمرًا** » [(١)] .

سالم بن عبد الله هو المحاربي وحديثه مرسل ، وظن بعضهم أنه سالم بن عبد الله ابن عمر ، وزاد بعضهم في الإسناد : عن أبيه ، ولا يصح ذلك كله .

وروى الوليد بن مسلم أيضًا عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن إسماعيل بن عبيد الله قال : إن داود ـ عليه السلام ـ قال : رب ارزقني عينين هطالتين يبكيان بذروف الدموع ويشفياني من خشيتك قبل أن يعود الدمع دمًا والأضراس جمرًا . قال : وكان داود ـ عليه السلام ـ يعاتب في كثرة البكاء فيقول : دعوني أبكي قبل يوم البكاء قبل تحريق العظام واشتعال اللحى ، وقبل أن يأمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون [(٢)] .

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى : الحلية ٢/ ١٩٦وقال : « رواه دحيم عن الوليد ولم يجاوز به سالما » ا.هـ ، وابن المبارك فى : الزهد ٣/ ١٦٥ (٤٨٠) .

(٢) أورده أبو نعيم في : الحلية ٦/ ٨٥ ، وابن المبارك في : الزهد ٣/ ١٦٦ (٤٨٣) ، والإمام أحمد في : الزهد صـ ٨٨ .

وروى يونس بن ميسرة عن أبي إدريس الخولاني قال : إن داود ـ عليه السلام ـ قال : أبكي نفسي قبل يوم البكاء ، أبكي نفسي قبل أن لا ينفع البكاء ، ثم دعا بجمر فوضع يده عليه حتى إذا [١] حره رفعها ، وقال : أوه لعذاب الله ، أوه ، أوه قبل أن لا ينفع أوه.

وروى ثابت البناني عن صفوان بن محرز قال : كان لداود ـ عليه السلام ـ يوم يتأوه فيه يقول : أوه أوه من عذاب الله ـ عز وجل ـ قبل أن لا ينفع أوه ، قال : فذكرها صفوان ذات يوم في مجلس فبكى حتى غلبه ، البكاء فقام [٢].

وقال عبد الله بن رياح الأنصاري : سمعت كعبًا يقول : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [هود:٧٥] قال : كان إذا ذكر النار قال : أواه من النار أواه من النار [٣] . وعن أبي الجوزاء وعبيد بن عمير نحو ذلك .

وروى ابن أبي بإسناد له عن رياح القيسي : أنه مر بصبي يبكي فوقف عليه يسأله ما يبكيك يا بني ؟ وجعل الصبي لا يحسن يجيبه ولا يرد عليه شيئًا ، فبكى رياح ثم قال : ليس لأهل النار راحة ولا معول إلا البكاء وجعل يبكي .

وبإسناد له آخر : أن رياحًا القيسي زار قوما فبكى صبي لهم من الليل ، فبكى رياح لبكائه حتى أصبح ، فسئل بعد ذلك عن بكائه فقال : ذكرت ببكاء الصبي بكاء أهل النار في النار ليس لهم نصير ، ثم بكى .

*****

(١) فى نسخة الفاروق : حتى آذاه .
(٢) أورده أبو نعيم في : الحلية ٢/ ٢١٥ .
(٣) المصدر السابق ٥/ ٣٧٤ .

فصل
في طلب أهل النار الخروج منها

قال الله ـ عز وجل : ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٦-١٠٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ [الزخرف:٧٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٥٠﴾ ﴾ [غافر:٤٩، ٥٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فاطر:٣٧] .

٥ ـ (١٨٠) وفي حديث الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن شهر بن حوشب ، عن أم الدرداء عن أبي الدرداء ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذكر أهل النار قال : « **فيقولون ادعوا خزنة جهنم فيقولون** : ﴿ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٥٠﴾ ﴾ [غافر:٥٠] **قال : فيقولون : ادعوا مالكًا ، فيقولون :** ﴿ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ » [الزخرف:٧٧] قال الأعمش : نبئت أن بين دعائهم

وبين إجابة مالك لهم ألف عام ، قال : « **فيقولون : ادعوا ربكم فإنه ليس أحد خيرًا من ربكم ، فيقولون** : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٦، ١٠٧] **قال : فيجيبهم** ﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٨] **قال : فعند ذلك يئسوا من كل خير ، وعند ذلك يأخذون في الحسرة والزفير والويل** »[1] خرجه الترمذي مرفوعًا وموقوفًا على أبي الدرداء .

وروى أبو معشر عن محمد بن كعب القرظى قال : لأهل النار خمس دعوات ، يكلمون في أربع منها ، ويسكت عنهم في الخامسة فلا يكلمون ، يقولون : ﴿ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ﴾ [غافر:١١] . فيرد عليهم : ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ﴾ [غافر:١٢] . ثم يقولون : ﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [السجدة:١٢] . فيرد عليهم : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [السجدة:١٣] إلى آخر الآيتين . ثم يقولون : ﴿ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ﴾ [إبراهيم:٤٤] . فيرد عليهم : ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [إبراهيم:٤٤] . ثم يقولون : ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [فاطر :٣٧] . فيرد عليهم : ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فاطر:٣٧] ثم

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن ، أبواب صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة طعام أهل النار ١٠/ ٥٥ [بشرح الإمام ابن العربي المالكي] وقال الترمذي : « إنما نعرف هذا الحديث عن الأعمش عن شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قوله : ليس بمرفوع . وقطبة بن عبد العزيز هو ثقة عند أهل الحديث » ا.هـ.

يقولون : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٦، ١٠٧] . فيرد عليهم : ﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٨-١١٠] . قال : فلا يتكلمون بعد ذلك . خرجه آدم بن أبي إياس وابن أبي حاتم .

وخرج ابن أبي حاتم من رواية قتادة عن أبي أيوب العتكي عن عبدالله بن عمرو قال : نادى أهل النار : ﴿ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ قال : فخلى عنهم أربعين عامًا ثم أجابهم ﴿ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الزخرف:٧٧] . فقالوا : ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٧] . قال : فخلى عنهم مثل الدنيا ثم أجابهم : ﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٨] . قال : فأطبقت عليهم فيئس القوم بعد تلك الكلمة ، وإن كان إلا الزفير والشهيق [١] .

وعن عطاء بن السائب عن أبي الحسن عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ قال : فيتركهم ألف سنة ثم يقول : ﴿ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الزخرف:٧٧] . وخرجه البيهقي وعنده عن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس [٢] .

وقال سنيد في تفسيره : حدثنا حجاج عن ابن جريج قال : نادى أهل النار خزنة جهنم أن ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ ﴾ [غافر:٤٩] فلم يجيبوهم ما شاء الله ، ثم أجابوهم بعد حين وقالوا لهم : ﴿ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [غافر:٥٠] ، ثم نادوا ﴿ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا

---

(١) انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٥٠٩ (١٤٠٤٧) ، ومصنف ابن أبي شيبة ١٣/ ١٥٢ (١٥٩٦٩) .
(٢) أورده البيهقي في : البعث والنشور ٢/ ١١٥ (٥٧٤) .

رَبُّكَ ﴾ فيسكت عنهم مالك خازن جهنم أربعين سنة ثم أجابهم ﴿ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الزخرف:٧٧] ثم نادى الأشقياء ربهم ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ الآيتين [المؤمنون:١٠٦] فسكت عنهم مثل مقدار الدنيا ثم أجابهم بعد ﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٨] .

٦ ـ (١٨١) وروى صفوان بن عمرو قال : سمعت أيفع بن عبد الكلاعي يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، قال الله : يا أهل الجنة** ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ [المؤمنون:١١٢،١١٣] **قال : نعم ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم رحمتي ورضواني وجنتي امكثوا فيها خالدين مخلدين ، ثم يقول لأهل النار :** ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٣﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ **فيقول : بئس ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم سخطي ومعصيتي وناري امكثوا فيها خالدين مخلدين ، فيقولون :** ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [المؤمنون١٠٧] **فيقول :** ﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٨] **فيكون ذلك آخر عهدهم بكلام ربهم ـ عز وجل »** [1] . خرجه أبو نعيم وقال : كذا رواه أيفع مرسلا .

وقال أبو الزعراء عن ابن مسعود : إذا أراد الله أن لا يخرج منها أحدًا غير وجوههم وألوانهم ، فيجيء الرجل من المؤمنين فيشفع فيقول : يا رب ، فيقال : من عرف أحدا فليخرجه ، قال : فيجيء الرجل من المؤمنين فينظر فلا يعرف أحدًا ، فيناديه الرجل فيقول : يا فلان أنا فلان ، فيقول : ما أعرفك ، قال : فعند ذلك يقولون في النار : ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٧] . فيقول عند ذلك : ﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٨] . فإذا قال ذلك أطبقت عليهم فلم يخرج منهم أحد .

---

(١) أورده أبو نعيم في : الحلية ٥/ ١٣٢ وقال : « كذا رواه أيفع مرسلا ، وأسند أيفع عن معاوية بن أبي سفيان وغيره » ا.هـ.

وفي رواية قال ابن مسعود : ليس بعد هذه الآية خروج ﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

وذكر عبد الرزاق في تفسيره ، عن عبد الله بن عيسى ، عن زياد الخراساني أسنده إلى بعض أهل العلم قال : إذا قيل لهم : ﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ سكتوا فلا يسمع لهم فيها حس إلا كطنين الطست [١] .

*****

(١) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٤٢ . تحقيق د./ عبد المعطي أمين قلعجي .

فصل
أهل النار لا يزالون في رجاء حتى يذبح الموت

ولا يزال أهل جهنم في رجاء الفرج إلى أن يذبح الموت ، فحينئذ يقع منهم الإياس وتعظم عليهم الحسرة والحزن .

٧ ـ (١٨٢) وفي الصحيحين عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة ، هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبّون وينظرون ويقولون : نعم . هذا الموت ، ويقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبّون وينظرون فيقولون : نعم . هذا الموت ، قال : فيؤمر به فيذبح ، ثم يقال : يا أهل الجنة ، خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت** » ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [١] [مريم:٣٩] .

٨ ـ (..) وخرجه الترمذي بمعناه وزاد : « **فلولا أن الله قضى لأهل الجنة بالحياة والبقاء لماتوا فرحًا ، ولولا أن الله قضى لأهل النار بالحياة والبقاء لماتوا ترحًا** » [٢] .

٩ ـ (١٨٣) وخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه معناه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال فيه : « **إن أهل الجنة يطلعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه ، وإن أهل النار يطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذين هم فيه** » [٣] وفي رواية الترمذي : « **مستبشرين**

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب التفسير (سورة مريم) ٦/ ١١٨ ، ومسلم في الصحيح ، كتاب الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ٤/ ٢١٨٨ (٢٨٤٩) .

« **الأملح** » . قيل : هو الأبيض الخالص ، وقيل : هو الذي فيه بياض وسواد ، وبياضه أكثر .

« **فيشرئبّون** » : أي يرفعون رؤوسهم إلى المنادي ا.هـ.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن ، أبواب التفسير (سورة مريم) ١٢/ ١٤ [بشرح الإمام ابن العربي المالكي] وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » ا.هـ.

(٣) أخرجه الترمذي في السنن ، أبواب صفة الجنة ، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار ١٠/ ٣٠ [بشرح الإمام ابن العربي المالكي] وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » ا.هـ ، وابن =

يرجون الشفاعة » .

١٠ ـ (..) وخرجاه في الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمعناه ، وفي حديثه : « **فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم** » [١] .

١١ ـ (..) وخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مختصرا ، وفيه : « **فلو أن أحدًا مات فرحًا لمات أهل الجنة ، ولو أن أحدا مات حزنًا لمات أهل النار** » [٢] .

وخرج ابن أبي حاتم بإسناده عن ابن مسعود من قوله نحو هذا المعنى غير مرفوع وزاد : أنه ينادي أهل الجنة وأهل النار هو الخلود أبد الآبدين ، قال : فيفرح أهل الجنة فرحة لو كان أحد ميتًا من فرحة لماتوا ، ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد ميتًا من شهقة لماتوا ، فذلك قوله : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [غافر:١٨] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [٣] [مريم:٣٩].

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن هشام بن حسان قال : مرّ عمر بن الخطاب بكثيب من رمل فبكى ، فقيل له : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذكرت أهل النار فلو كانوا مخلدين في النار بعدد هذا الرمل كان لهم أمد يمدون إليه أعناقهم ولكنه الخلود أبدًا .

وقد روي عن ابن مسعود هذا المعنى أيضا مرفوعا وموقوفا ، وسنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

= ماجه في السنن ، كتاب الزهد ، باب صفة النار ٢/ ١٤٤٧ (٤٣٢٧) . وفي الزوائد : « هذا إسناد صحيح رجاله ثقات . وقد أخرج البخاري بعضه من هذا الوجه ، وله شاهد في الصحيحين من حديث أبي سعيد » ا.هـ ، والإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٦١ ، ٣٦٩ .

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ٨/ ١٤٢ ، ومسلم في الصحيح ، كتاب الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ٤/ ٢١٨٩ (٢٨٥٠) .

(٢) أخرجه الترمذي في السنن ، أبواب صفة الجنة ، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار ١٠/ ٣٢ [بشرح الإمام ابن العربي المالكي] وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » ا.هـ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/ ٢٤١٠ (١٣١٣٦) .

فصل
عصاة الموحدين ينفعهم الدعاء في النار

وأما عصاة الموحدين فإنه ربما ينفعهم الدعاء في النار .

١٢ ـ (١٨٤) خرج الإمام أحمد من حديث أبي ظلال عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **إن عبدًا في جهنم لينادي ألف سنة : يا حنان يا منان ، فيقول الله ـ عز وجل ـ لجبريل ـ عليه السلام : اذهب فأتني بعبدي هذا ، فيذهب جبريل فيجد أهل النار منكبين يبكون ، فيرجع إلى الله ـ عز وجل ـ فيخبره ، فيقول : ائتني به فإنه في مكان كذا وكذا ، فيجيء به ويوقفه على ربه ، فيقول له : يا عبدي ، كيف وجدت مكانك ؟ فيقول : يا رب شر مكان وشر مقبل ، فيقول : ردوا عبدي ، فيقول : يا رب ، ما كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تردني ، فيقول : دعوا عبدي** » [(١)] . أبو ظلال اسمه هلال ضعفوه [(٢)] .

١٣ ـ (١٨٥) خرج الترمذي من طريق رشدين بن سعد ، حدثني ابن أنعم ـ هو الإفريقي ـ عن أبي عثمان أنه حدثه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **إن رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما ، فقال الرب ـ عز وجل : أخرجوهما ، فلما خرجا قال لهما : لأي شيء اشتد صياحكما ؟ قالا : فعلنا ذلك لترحمنا ، قال : رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار ، قال : فينطلقان فيلقي أحدهما نفسه فيجعلها عليه بردًا وسلامًا ، ويقوم الآخر فلا يلقي نفسه ، فيقول له الرب ـ عز وجل : ما منعك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك ، قال : إني لأرجو أن لا تعيدني فيها بعد ما أخرجتني ، فيقول له الرب ـ عز وجل : لك رجاؤك ، فيدخلا جميعًا الجنة برحمة الله ـ عز وجل** » [(٣)] قال الترمذي : إسناد هذا الحديث ضعيف .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٢٣٠ . وإسناده ضعيف ، لأجل أبي ظلال .

(٢) هو هلال بن ميمون أبو ظلال القسملي صاحب أنس ، قال ابن معين والنسائي والأزدى : ضعيف ا.هـ. ميزان الاعتدال ٤/ ٣١٦ (٩٢٨٠) .

(٣) أخرجه الترمذي في السنن ، أبواب صفة جهنم ، باب حدثنا هنّاد ١٠/ ٦٣ [بشرح الإمام ابن العربي المالكي] وقال الترمذي : « إسناد هذا الحديث ضعيف ؛ لأنه عن رشدين بن سعد وهو ضعيف عند أهل الحديث ، وابن نعيم ضعيف عند أهل الحديث » ا.هـ .

١٤ ـ (١٨٦) وفي صحيح مسلم عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **يخرج من النار أربعة فيعرضون على الله ـ عز وجل ـ فيلتفت أحدهم فيقول : أي رب إذ أخرجتني منها فلا تعدني ، فيها قال : فينْجيه الله منها** » [(١)] .

١٥ ـ (..) وخرجه ابن حبان في صحيحه وعنده : « **فيلتفت فيقول : يا رب ما كان هذا رجائي فيك ، فيقول : ما كان رجاؤك ؟ قال : كان رجائي إذ أخرجتني منها أن لا تعيدني فيها ، فيرحمه الله فيدخله الجنة** » [(٢)] .

١٦ ـ (١٨٧) وخرج الإمام أحمد من رواية علي بن زيد بن جدعان ، عن ابن المسيب ، عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **إن آخر رجلين يخرجان من النار فيقول : الله ـ عز وجل ـ لأحدهما : يا ابن آدم ، ما أعددت لهذا اليوم ؟ هل عملت خيرًا قط ؟ هل رجوتني ؟ فيقول : لا أي رب ، فيؤمر به إلى النار فهو أشد أهل النار حسرة ، ويقول للآخر : ما أعددت لهذا اليوم ؟ هل عملت خيرًا قط أو رجوتني ؟ فيقول : لا أي رب ، إلا أني كنت أرجوك ، قال : فيرفع له شجرة** » وذكر الحديث في دخوله الجنة وما يعطي فيها [(٣)].

١٧ ـ (١٨٨) وخرج هنّاد بن السري من طريق أبي هارون العبدي ـ وفيه ضعف شديد ـ عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « **أن رجالا يدخلهم الله النار فيحرقهم بها حتى يكونوا فحمًا أسود ، وهم أعلى أهل النار ، فيجأرون إلى الله ـ عز وجل ـ يدعونه فيقولون : ربنا أخرجنا منها ، فاجعلنا في أصل هذا الجدار ، فإذا جعلهم في أصل الجدار رأوا أنه لايغني عنهم شيئًا ، قالوا : ربنا اجعلنا من وراء هذا السور لا نسألك شيئًا بعده ، فيرفع لهم شجرة حتى تذهب عنهم سخنة النار أو شحنة النار** » [(٤)] وذكر الحديث .

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١/ ١٨٠ (١٩٢) .

(٢) أخرجه ابن حبان (الإحسان) ٢/ ٤٠٠ (٦٣٢) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٧٠ ، ٧٤ . وإسناده حسن لأجل علي بن زيد .

(٤) أخرجه هناد بن السرى فى : الزهد ١/ ٢٣٢ (٢٠٦) . المكتبة الشاملة . الإصدار الثانى . «كمبيوتر» . * وإسناده ضعيف لأجل أبى هارون العبدى فهو ـ كما فى التقريب ٢/ ٤٩ (٤٦٠) ـ متروك ، ومنهم من كذبه ا.هـ .